الثلاثاء 30 إبريل/ نيسان 2024 م 21 شوال 1445 هـ ◻ العدد 3529 السنة العاشرة
Tuesday 30 April 2024

العربي الجديد

هوامش

لم تتوقّع الشابة المغربية غيثة نمروش أن تصاب بمرض السرطان، إلا أنها رفضت الاستسلام وقاومته حتى انتصرت عليه، وعادت إلى دراستها الجامعية، وتحلم بافتتاح مشروعها الخاص

كانت محظوظة بالسند العائلي (العربي الجديد)

غيثة نمروش

حكاية مغربية انتصرت على سرطان «هودجكين»

الدار البيضاء ـ **حنان النبلي**

تسلّحت الشابة المغربية غيثة نمروش بالأمل في الشفاء والتفاؤل بالمستقبل وهي تخوض رحلتها مع مرض السرطان الذي أصيبت به وهي طالبة جامعية. لم تهزمها الأحكام الجاهزة التي تربطها بالنهاية الوشيكة، ولا حصص العلاج الكيميائي التي كانت تتحمل مشقّة السفر إليها من مسقط رأسها في فاس إلى الدار البيضاء، بل كانت ترفع شعار «لا يأس مع الحياة» وتنظر إلى الابتلاء بعين الرضا بقضاء الله وقدره. نمروش التي تعافت من سرطان «هودجكين» (يُصيب الجهاز اللمفاوي) تحكي لـ «العربي الجديد» عن رحلتها مع المرض في أكتوبر/ تشرين الأول عام 2012، ولاحظت تضخم أورام صغيرة ومتفرقة في عنقها تشبه العقد، مترافقة مع بعض الأعراض كالحمى والتعرق وضعف في التنفس وارتفاع درجة الحرارة. وبعد خضوعها لسلسلة من الفحوصات والتحاليل، قرّر الطبيب إجراء عملية لاستئصالها قبل أن يوجّهها إلى إجراء تشريح دقيق لعينة من الغدد الليمفاوية للتأكد من وجود خلايا سرطانية من عدمه. تضيف: «اضطر والدي للتوجه إلى مدينة الرباط لإجراء التشريح لدى المصالح المختصة، وكان علينا الانتظار أسابيع للحصول على النتيجة، غير أن الصدمة كانت كبيرة، وأظهرت إصابتي بالسرطان. لم يتمكن والدي في البداية من إخباري بالأمر وطلب من الطبيب إبلاغي خلال الموعد الذي كان مقرراً بيننا. وفعلاً ذلك ما حصل، وقابلت الخبر على ثقله وصعوبته بالحمد والشكر».

ما أضيف العيش لولا فسحة الأمل

في تقبّل المرض سرّ التغلب عليه، هذا ما ردّده الطبيب على مسامع الشابة، محفزاً إياها على بدء مرحلة العلاج التي تلي مباشرة الكشف والتشخيص. «قررت أن أبدأ في الحين، وكأنّ قوة خفية كانت تدفعني إلى الأمام. توجهت برفقة والدي إلى مصلحة أمراض الدم وأنكولوجيا (من التخصصات الطبية المهمة التي تتدخل مباشرة في الاستراتيجية العلاجية لأمراض السرطان) الكبار لمعالجة سرطان الدم في مستشفى 20 غشت بمدينة الدار البيضاء، وهناك عرفت نوعية السرطان الذي أصبت به، وتقرر فعلاً أن أخضع للحصة الأولى من العلاج الكيميائي التي كانت صعبة جداً، وبدا لي الوقت طويلاً والساعات لا تنتهي.

ربما كانت هالة الخوف التي تحاول نمروش السيطرة عليها داخلياً سبباً ثانياً في جعلها تبحث أكثر عن المرض وتطوراته. تقول: «عرفت أنه يصيب خلايا الدم خصوصاً اللمفاوية منها. وعلى الرغم من أن أسبابه غير محددة بدقة، تتراوح نسبة التعافي منه ما بين 40 و95 في المائة بحسب أرقام الجمعية المغربية لأمراض الدم. وتُعد أعلى مقارنةً بأمراض سرطانية شائعة أخرى، وهو ما مدّني بالعزيمة والاستمرارية وعدم الاستسلام». خضعت المريضة لـ 14 جلسة من العلاج الكيميائي، كما تقول لـ «العربي الجديد». يضيف: «التقيت مرضى من مختلف الفئات العمرية؛ أطفالاً وشباباً وكباراً في السن. رأيت حالات أسوأ من حالتي، فاستجمعت كل قوتي وقصصت شعري بيدي وتهيأت للمراحل المقبلة. كانت حالة إحدى المصابات التي تعافت بعد انتكاسة عايشتها برفقتها بمثابة نافذة نحو غد أفضل». وعن أبرز الصعوبات التي تعرضت لها خلال رحلة المرض، تشير إلى أن في مقدمتها مشقة التنقل من مدينة إلى أخرى للخضوع للعلاج الكيميائي، وما يتبع ذلك من إرهاق وتعب، خصوصاً أن المريض في حاجة إلى الراحة والإضاءة القليلة، وتجنب مخالطة الناس حتى لا يزيد من إضعاف جهاز المناعة في الجسم. وتوضح: «اضطررت أيضاً إلى التوقف عن الدراسة خلال فترة العلاج، غير أنني لم أستسلم للفراغ، بل أدركت مدى شغفي بعالم الطبخ والحلويات. كان ذلك بمثابة متنفس حقيقي لي، بالإضافة إلى متعة السفر بحسب حالتي واستقرارها. ولا أنفي أنني كنت محظوظة بالسند العائلي والوجود في بيئة سليمة ومتوازنة ساهمت في خروجي من دائرة العلّة إلى عالم التعافي».

باختصار

كان خوف الأهل من خسارة غيثة نمروش يسيطر على العائلة في ظل الأحكام والتصورات الجاهزة والمغلوطة أحياناً عن السرطان

■ ■ ■

واجهت غيثة نمروش صعوبات عدة في مقدمتها مشقة التنقل من مدينة إلى أخرى للخضوع للعلاج الكيميائي، وما يتبع ذلك من إرهاق وتعب، خصوصاً أن المريض في حاجة إلى الراحة والإضاءة القليلة، وتجنب مخالطة الناس حتى لا يزيد من إضعاف جهاز المناعة في الجسم

السرطان مكلف

ويستذكر والدها عبد الفتاح نمروش الذي واكب مسيرتها العلاجية تلك الفترة، قائلاً: «كانت قاسية علينا جميعاً، خصوصاً أنه لا تاريخ مرضي للعائلة، ولم يسبق لنا معرفة شيء عن هذا المرض ولا تفاصيل التشخيص وسبل العلاج. كان الخوف من خسارة ابنتي يسيطر علينا جميعاً في ظل الأحكام والتصورات الجاهزة والمغلوطة أحياناً عن السرطان. لهذا، عندما عرفت إصابتها دخلت في حالة نفسية صعبة جداً، غير أن فلذة الكبد أظهرت صبراً وقدرة على التحمل». ويستدرك: «صحيح أن مرض السرطان مكلف مادياً ومعنوياً ونفسياً، غير أنه بمثابة اختبار حقيقي لصدق البشر من حولنا. في هذا الصدد، لا يفوتني أن أشكر كل من قدم لنا يد المساعدة، وعلى رأسهم الدكتورة أسماء قصار المتخصصة في علاج مرض السرطان بمستشفى 20 غشت، التي كان لها دور مهم في متابعة حالة ابنتي وإرشادنا وتخفيف توترنا، ولن أنسى صنيعها، وهي أهل لكل تقدير وامتنان بعد الله». كان يقين نمروش وأسرتها بالله كبيراً، وهو ما كلّل رحلتها بالتعافي، بعد حرصها على الالتزام بالعلاج والنظام الغذائي المتوازن، والطاقة الإيجابية، وهي اليوم تتابع وضعها الصحي بانتظام وتمارس حياتها بصورة طبيعية، وأكثر قوة وثقة من السابق. تضيف: «استأنفت دراستي في المعهد العالي الدولي للسياحة في طنجة، تخصص استراتيجيات وإدارة المنشآت الفندقية، وأحلم بافتتاح مشروعي الخاص، ومشاركة خلاصة تجاربي مع الآخرين». وتختم غيثة حديثها قائلة: «تعلمت من فترة المرض إعادة اكتشاف ذاتي وغايتي من هذا الوجود، ورتبت أولوياتي، وتصالحت مع نفسي بكل تغيراتها، وعرفت معنى الكلمة الطيبة، والخطوة المشجعة، والابتسامة الصادقة، وأنّها ما ضاقت واستحكمت حلقاتها إلا لتفرج». هذه خلاصة تجربة إنسانية ورسالة أمل ومقاومة توجهها الشابة المغربية إلى كل محاربي السرطان بمختلف أنواعه، وهو أنه لا مجال للاستسلام، والمرض ليس وصمة اجتماعية، والدواء ليس إبحاراً نحو المجهول، وأنّ المحنة قد تتحول إلى منحة وانتصار، وأنّ لكلّ أجل كتاباً.

وأخيراً

«صوتُ» سقراط

نجوى بركات

أكثر من ألفي عام وهو يتربّع على عرش الحضارة الأوروبية، حاضراً على كلّ لسان وفي أكثر من ميدان وعصر، ونحن لا نعرف عن تاريخه الشخصي أو عن شخصيته الحقيقية كثيراً. منهم من اعتبره مجنوناً، وبعضهم رأى فيه تمثّلاً لمرض الهستيريا الكاملة، كما كانت حال جاك لاكان، وقال آخرون إنّ فيه مسّاً ويسكنه شيطان. هو الذي تستحضره الأغلبية عبقرياً ينطق بالحِكَم متمشّياً، غريب الأطباع، رافضاً أن يُدوّن في الكُتب شيئاً من أفكاره، لأنّ الأفكار تُناقَش وتتطوّر، وتثبيتها هو حكم عليها بالموت: «السبب أنّ الربّ وضع لي قانونا لمساعدة الآخرين على الإنتاج، وهو يمنعني من إنتاج أي شيء». كُثر تَحرّوا وكتبوا عنه. ومع ذلك، ما زلنا إلى اليوم نسأل من كان سقراط حقاً؟

ولد سقراط في أثينا عام 496 أو 470 ق.م، وتوفي نحو عام 399 ق.م، أخباره وصلت إلينا عبر كتابات أفلاطون وأرسطو، وتلميذه الآخر زينوفون. والدُه كان نحّاتاً ووالدته كانت قابلة. شارك في ثلاث حملات عسكرية دامت عشر سنوات، وتميّز بالشجاعة والإقدام والثبات. تزوّج متأخراً عام 415 ق.م (؟) من صبية تدعى زانتيب، أنجبت له ثلاثة صبيان. قيل إنّه كان قبيحاً قصير القامة، يرتدي صيفاً وشتاءً المعطف نفسه، يسير حافي القدمين، وبإمكانه الوقوف ثابتاً لساعات متأمّلاً. هناك في «المأدبة» شهادة لأفلاطون على لسان ألسيبياديس، يقول فيها: «في أحد الأيام، وكان الصقيع فظيعاً، فامتنع الجميع عن الخروج... خرج سقراط بعباءة مثل تلك التي اعتاد ارتداءها دوماً، حافي القدمين، ومشى على الجليد بكل سهولة». وفي موقف آخر: «وفي أحد الأيام، منذ الفجر، كان يقف هناك، يتأمل شيئاً ما... أخيراً، في المساء خرج بعضهم لينامو في البرودة بسبب حرّ الصيف، وليراقبوا سقراط، الذي بقي مزروعاً في مكانه حتى الفجر».

بعض الأسماء الشهيرة في الطب النفسي وفي الفلسفة اهتمّت بحالة سقراط، ومن بينها يبرز اسم الطبيب الفرنسي لوي فرانسوا ليلو، الذي كتب عن «شيطان سقراط» (1836)، معتبراً أنّ الرجل كان يعاني نوباتٍ من النشوة سرعان ما اتّخذت طابع الهلوسة، وعلى رأسها هلوسة سماع صوت يُخاطبه، وهو ما ازداد مع تقدّمه في العمر. اعتبر ليلو سقراط مجنوناً ومهلوساً، في حين نشر بورنفيل في مجلة الطب النفسي مقالاً بعنوان: «هل كان سقراط مجنونا؟» (1864)، مستنداً إلى شهادة الفيلسوف اليوناني نفسه، الذي ذكر أنّ المستشار غير المرئي والموثوق به الذي يُفضّله، والذي كان يسميه الشيطان أو الإله أو «الصوت» الإلهي، بحسب درجة تأثّره، قد رافقه منذ طفولته: «بدأ الأمر في طفولتي: صوت يأتي إليّ ليصرفني دائماً عماً أنوي القيام به... هو الذي عارض دخولي في السياسة». من جانبه، كتب الفيلسوف والبروفسور في الطب النفسي كارل ياسبرز فصلاً عن سقراط في كتابه «الفلاسفة الكبار»، فقال إنّ سقراط لم يؤسّس حزباً، ولم يقم بأيّ دعاية، ولم يبنِ مدرسة، ولم يكن لديه برنامج إصلاحي أو نظام معرفة، «لقد استولى عليه وَعيُ دعوةِ الاضطلاع بمهمة إلهية، وكان أكيداً من دعوته، مثل الأنبياء، لكن لم يكن لديه ما يُعلنه مثلهم». هو أيضاً ذكر «شيطان» سقراط، ذلك «الصوت» الذي لا يجلب أي معرفة، ولا يدفع إلى أي عملٍ محدّد، بل يقول فقط «لا»، ويحظر الكلام والأفعال السيئة.

> اتُّهم سقراط بعدم الإيمان بآلهة المدينة، وإفساد عقول الشباب، في حين كان يرمي إلى تحسين الجنس البشري

اتُّهم سقراط بعدم الإيمان بآلهة المدينة، وإدخال آلهة جديدة، وإفساد عقول الشباب، في حين كان يرمي طوال حياته إلى تحقيق هدف وحيد: تحسين الجنس البشري من خلال إصلاح المنطق والأخلاق والدين. في نهاية محاكمته، تحدّث مجدّداً عن «الصوت»، الذي لم يمنعه كعادته من مغادرة بيته ولم يمنعه عن قول ما قاله: «ففي ما يحصل لي اليوم، لا توجد مصادفة، وقد بات واضحاً لي أنّ الموت منذ الآن، والتحرّر من هموم الحياة، هو أفضل ما يناسبني. لذا فإنّ الصوت السماوي قد صمت اليوم».

ألا يكون صوت سقراط هو ببساطة صوت الضمير؟!

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**